مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: التخييل التاريخي وحضور التاريخ في السرد في رواية "الشيخ الأبيض"
اسم الكاتب: د. سلطان بن محمد القاسمي، عبد الرحمن بوعلي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/9286
تاريخ الاسترداد: 2026/04/11 00:09 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد 20، العدد 2
ذو القعدة 1444 هـ / يونيو2023م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

يونيو 2023م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 20 العدد 2
https//:doi.org/10.36394/jhss/20/2/20

التّخْييلُ التّاريخي وحُضور التّاريخ في السّرد في رواية "الشيخ الأبيض" للدكتور سلطان بن محمد القاسمي

عبد الرحمن بوعلي[1]

تاريخ الاستلام: 27-10-2021 **تاريخ القبول: 28-01-2022**

ملخص البحث:

تُعدّ رواية "الشيخ الأبيض" من الروايات التاريخية الرائدة التي عالجت فترة مُهمّة من فترات تاريخ منطقة الخليج العربي. وهي الرواية الأولى التي ألفها الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ضمن سلسلة من الروايات التاريخية التي صدرت له.

وموضوع رواية "الشيخ الأبيض" من الموضوعات التي تولّدت عن الفترة الاستعمارية حين كانت السفن الغربية تتوجّه إلى منطقة الخليج للتجارة مع هذه الدول، أو حين كانت تعبر هذه المنطقة في اتجاه الهند أو الصين.

وتحكي رواية "الشيخ الأبيض" حياة بطلها "يوحنا هيرمان بول" (Johannes Herman Poll)، هذه الشخصية التي أصبحت فيما بعد تُسمّى باسم عربي هو اسم "عبد الله بن محمد"، والتي عصفت بها رياح الغرب وأطماعه التي لا تنتهي، فجاءت بها -عن طريق المصادفة- إلى شواطئ سلطنة عمان، وبالضبط إلى المنطقة المسماة "ظفار"، وهي منطقة تقع جنوب سلطنة عمان، والتي عاشت تاريخا من الاضطرابات قديما وحديثا.

وهذه الدراسة هي بحث في هذه الرواية. وقد قسمناه إلى قسمين: القسم الأول نظري حول مفهوم "الرواية التاريخية" وبدايتها وتطورها. أما القسم الثاني فهو تطبيقي حللنا فيه الرواية من جانبين: الجانب المضموني، والجانب الفني. وذيلنا البحث بخلاصات وبقائمة للمصادر والمراجع.

الكلمات الدالة: الشيخ الأبيض، التاريخ، الرواية، التخييل التاريخي.

---

(1) كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة الشارقة (الشارقة – الإمارات العربية المتحدة)
aboualifr@gmail.com

المقدمة:

كثيرا ما أثارت كتابةُ الروايات التاريخية أسئلة عديدة أمام الدارسين والنقاد والمنظرين، وبالخصوص أمام المهتمين بالخطاب الروائي. ولقد أكدت هذه الأسئلة أهمية العلاقة الوشيجة والقوية بين الرواية كإبداع أدبي وتخييلي من جهة، والتاريخ كعلم وكحقائق من جهة أخرى.

ويحق لنا، ونحن نهُمُّ بدراسة موضوع "التخيُّل الروائي" أو موضوع العلاقة بين التاريخ والرواية، من خلال رواية "الشيخ الأبيض" (القاسمي، 1996) لصاحبها الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، المتمرّس في كتابة الروايات التاريخية العديدة (له خمس روايات تاريخية)، والمسرحيات التاريخية (له خمس مسرحيات تاريخية)، التي حاول فيها أن يستنهض التاريخ، وأن يستدعي بعض محطّاته الأساسية، يحق لنا أن نطرح بعض الأسئلة التي يتناسل بعضها من بعض، وذلك من قبيل: ما التاريخ؟ وما الرواية؟ وما العلاقة بينهما؟ وما الذي نعنيه بالتخييل الروائي؟ وغير ذلك من الأسئلة التي بات يطرحها دارسو هذا النوع من الروايات.

ولعلّ مثل هذه الأسئلة التي نعتزم طرحها تمَّ طرحها من قبل. غير أنه يهمنا أن نوضح أن الأسئلة التي تهمنا هنا تختلف عن تلك الأسئلة التقليدية التي طرحها بعض الكتاب والنقاد، ولكنها أسئلة من نمط آخر، نمط جديد ومستفز للبحث، وهي أسئلة محفزة على إعادة قراءة الإنتاج الروائي. إن أسئلتنا هذه تختلف عن تلك الأسئلة التي تمَّ طرحها من قبل، وذلك من قبيل: "ما الرواية التاريخية؟ وما علاقتها بالتاريخ؟ وما الأسلوب النموذجي الذي ينبغي للمؤلف اتباعه في كتابة رواية تتخذ من التاريخ فضاء تحل فيه؟ وما موقف القارئ من الحوادث التاريخية المندرجة في سياق المحكي الخيالي؟ وهل عليه أن يعود من حين لآخر لما يتوافر لديه من وثائق ليتأكد من صحة ما يروى، أم عليه أن يتخطى ذلك، ويعدّ المحكي الخيالي شيئا لا علاقة له بالتاريخ؟" (كينيارد، 2012، ص: 10). أسئلتنا تحاول أن تربط بين التاريخ كمجال لحصر الحقائق والأحداث التي وقعت كما وقعت، والفن الروائي باعتباره شكلا من أشكال التخييل، يحول الواقع إلى بنية فنية لباسها اللغة والصور والأفكار.

ولئن كان التاريخ، بمعناه الواسع، الذي يعالجه الدكتور سلطان بن محمد القاسمي في روايته "الشيخ الأبيض" تاريخًا محدّدًا ومخصوصًا، يتعلق بتاريخ شخصية واقعية (شخصية بول) وفدت على المنطقة وأقامت فيها وذابت في أهلها لدرجة أنها فقدت هُويتها الأصلية الأولى، ولبست هوية جديدة ثانية، فإن الكتابة الروائية عن حياة هذه الشخصية تفرض قوانينها التخييلية عليها. من هنا، سوف نقوم بتحديد ما الذي ندركه من التخيُّل

التاريخي، وكيف تعالقت الأحداث التاريخية مع الأحداث المتخيلة حتى كاد الجانبان الاثنان: الحدث التاريخي والحدث الإبداعي التخيلي يشكلان مركبا ثالثا هو في نفس الوقت تاريخ وتخيّل.

وقبل أن نقوم بدراسة رواية "الشيخ الأبيض" يجدر بنا أولا أن نقدم الأرضية النظرية التي تؤطر نظرية التخيُّل التاريخي وعلاقته بالكتابة الروائية من جهة وبالكتابة التاريخية من جهة أخرى، وتقديم الخلاصات التي انتهى إليها جورج لوكاش في كتابه عن "الرواية التاريخية"، وثانيا أن نقوم بالتعريف بمؤلفات الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وببعض الدراسات والأبحاث التي عالجت أدبه على وجه العموم وبصفة خاصة رواياته التاريخية.

أولا- الأرضية النظرية للرواية التاريخية:

1. العلاقة بين التاريخ والرواية:

يُعدُّ "التاريخ" من العلوم الإنسانية التي عرفها الإنسان منذ غابر العصور، ومثلما كان "التاريخ" يشكل في الماضي مادة مهمة بالنسبة للإنسان، صار اليوم يشكل، وبقوة، مادة مهمة بالنسبة للكاتب والأديب.

ولا غرو أن الكاتب، انطلاقا من مادة التاريخ، المسجلة في حوليات وأحداث، وغير المسجلة مثل التواريخ الشفوية، استمد الكثير من الموضوعات والأحداث وأسماء الشخصيات والأماكن والأزمنة، فنسج روايات تعود بنا إلى عصور قديمة نعيش فيه أحداثا عاشها أسلافنا في الأزمنة الغابرة. وفي الزمن الحاضر بدأ الكثير من الروائيين متأثرين ببعضهم البعض، ينزحون نحو كتابة الروايات التاريخية، إلى درجة أن الكثير منهم صاروا من كتاب الروايات التاريخية ومن المتخصصين فيها.

وقد طفق النقاد، خاصة نقاد عصرنا، يدرسون مثل هذه الروايات ببالغ الاهتمام، فنظروا لها وحللوها تحليلا دقيقا. ومنهم من رأى أن مثل هذه الروايات هي اتجاه جاء ليثري الكتابة الروائية من حيث جماليتها، ومنهم من رأى أنها كتابات تجيب عن رغبة الكتاب في العودة إلى تاريخهم والتمسك بهوياتهم. وقبل هذا وذاك، فقد رأى البعض منهم "أنه ليس صعبا أو مستحيلا أن يكون التاريخ إلهاما وتجربة ومصدرا لعمل أدبي ما، كما يحدث مع التجربة الواقعية المعيشة. ولعل الماضي يكون مناسبا أكثر لممارسة العمل الأدبي، وذلك بسبب أن حوادث الماضي قد تبلورت على مر الأيام، فاستطاعت أن تنزع عنها الملابسات والتفاصيل البسيطة، من حيث الدلالات التي يتصيدها الكاتب للوصول إلى الهدف، الذي يرمي إليه من عمله الفني" (ثليلاني، وطاجين، الملتقى الدولي السادس في تحليل الخطاب 2013).

هكذا، من الراجح أن نتصور، بل وأن نعاين، أن هناك علاقة وطيدة بين الإبداع الأدبي التّخييلي من جهة، والتاريخ من جهة أخرى، غير أن هذه العلاقة بينهما قد تكون في غاية الدقة، وكما يقول أحد النقاد فـ "علاقة الأدب بالتاريخ هي من القضايا النقدية الشائكة، ذلك أن الأدب إبداع يراهن على الخيال لتحقيق الجمال والتأثير، في حين أن التاريخ يراهن على الحقيقة لتحقيق الموضوعية والإقناع" (مندور، 2003، ص: 107 - 109)، وتأسيسا على ذلك يتبين لنا أن التاريخ والأدب مختلفان من حيث إطارهما الأنطولوجي، إذ يختلفان اختلافا بيِّنًا. وانطلاقا من هذه الوضعية يمكن أن نتصور الكيفية التي نظر وينظر بها النقاد المعاصرون إلى هذه القضية، وفي هذه القضية "يذكر الدكتور محمد مندور موقفين للنقاد فيما يعرف بتاريخ هذه العلاقة: ويتمثل الموقف الأول في إنكار حق الأديب في تغيير وقائع التاريخ وبخاصة الكبرى منها، وهم يشبهون موقفه من التاريخ الفعلي الأكيد بموقفه من الحياة المعاصرة؛ لأن التاريخ ما هو إلا الحياة الماضية، وإنما للأديب الحق في أن يتخير ما يحلو له من وقائع التاريخ، على أن لا يؤدي هذا الاختيار إلى قلب حقائق التاريخ والعبث بمنطقه، كما أن له أن يفسر التاريخ على النحو الذي يهديه إليه إحساسه، وأن يتخير من بواعث الأحداث وخفايا النفوس ما توحي إليه به الوقائع وأن يحكم تبعا لهذا التفسير على الشخصيات التاريخية الأحكام التي تتسق مع منطق تفكيره وإحساسه. ومن هنا مثلا نرى بعض الأدباء يرى في شخصية (جان دارك) التي قادت الجيوش وقاومت الاستعمار الإنجليزي لفرنسا مقاومة الأبطال بأنها كانت قديسة طاهرة بينما يرى فيها البعض الآخر استنادا إلى الوقائع نفسها ولكن بتفسير آخر أنها كانت فتاة هستيرية مريضة. وأما الموقف الثاني الذي يورده محمد مندور فيما يراه نقاد آخرون بخصوص هذه القضية، فهو يتمثل في تسليمهم بالحرية المطلقة للأديب إزاء أحداث التاريخ يتصرف فيها كيفما يشاء ولعل (إسكندر دوماس الأب) قد عبر عن هذا الاتجاه أقوى تعبير عندما قال: "(التاريخ من يعرفه؟ إن هو إلا مسمار أشجب فيه لوحاتي) وهو يقصد بذلك تشكيكه الشديد فيما نعتبره يقينا من أحداث التاريخ التي كثيرا ما يضل المؤرخون في الوصول إلى حقائقها وبواعثها الخفية، وهو يقصد ثانيا وترتيبا على ما سبق إلى أن يبيح للأدب حق التصرف كما يشاء في أحداث التاريخ وفقا لمقتضيات فنه، بل ووفقا لما يرمي إليه من أهداف." (مندور، 2003، ص: 107 - 109).

2. جورج لوكاش والرواية التاريخية:

وبالعودة إلى موضوع الرواية التاريخية، والإطار التاريخي الذي نشأت فيه، وعلاقة هذا الإطار التاريخي بالسياق المعرفي المحيط بها، تستوقفنا، بالتحديد، كتابات أحد أهم منظري الرواية وهو الناقد المجري "جورج لوكاش"، وذلك من خلال كتابه المهم والتأسيسي "الرواية التاريخية" الذي قام بترجمته الدكتور صالح جواد الكاظم. وقد بين

المؤلف في هذا الكتاب بوضوح ما المقصود من الرواية التاريخية؟ ولم وكيف ظهرت على الساحة الأوروبية خاصة؟ ومَنْ مِن الكتاب كانوا من أهم روادها ومؤلفيها؟ وهي كلها أسئلة يجيب عنها جورج لوكاش من ناحية، وهي من ناحية أخرى تدفع بقارئ الكتاب إلى أن يقرأه بكثير من التأمل والتبصر، لما فيه من فائدة كبيرة كما عبر عن ذلك الدكتور صالح جواد الكاظم.

والحقيقة أن نية جورج لوكاش، وهو يشرع في صياغة وتأليف هذا الكتاب الضخم في العامين (1936 - 1937)، لم تكن، كما جاء على قلم مترجم كتابه د. صالح جواد الكاظم أيضا، أن يكتب في قضية أدبية صرفة شغلت بعض نقاد الأدب لفترة من الوقت، وقد أوضح ذلك في المقدمة التي كتبها للطبعة الإنجليزية للكتاب، والتي صدرت في العام 1960، أن هدفه من هذا الكتاب ليس هو "معالجة مسألة أدبية - تاريخية صرفة، أي تطور الرواية التاريخية، فما دار في ذهنه تقديم "دراسة نظرية للتفاعل بين الروح التأريخية والأنواع الأدبية الكبيرة التي تصور كلية التاريخ" (لوكاش،1986، ص: 8) ، كما يشير إلى أن جورج لوكاش كان قد حذر القارئ "من أن يتوقع كتابا مدرسيًّا عن تطور الرواية أو المسرحية التاريخية، ومنوها إلى أنه لا يتعقب تطورا تاريخيا، بمعنى الكلمة الضيق، فهو يبرز الخطوط الرئيسة في التطور التاريخي وما أثارته من مسائل. ليبقى بعد ذلك فحص التفاعل بين التطور الاقتصادي- الاجتماعي والمنطلقات الفكرية والشكل الفني شغل لوكاش الشاغل" (لوكاش،1986، ص: 8). ويتابع د. صالح جواد الكاظم حديثه موضحا هذه المسألة فيقول: "يقتحم لوكاش أعماق الأمثلة التي يسوقها من الروايات التاريخية، ولا يكل عن عقد مقارنات بينها، وبين شخوص وحوارات كل منها. ويبين أن كُتَّابًا أمثال: "وولتر سكوت"، و"بلزاك"، و"تولستوي"، يحظون بالقدر الأكبر من اهتمام لوكاش، إلا أنه غالبا ما يتناول كُتَّابا أقل شأنًا. وهدفه من ذلك أن يحدد الاتجاهات النمطية في تطور الرواية التاريخية وما أسفرت عنه" (لوكاش،1986، ص: 9). وعلاوة على هذا، يرى الكاظم أن جورج لوكاش "لم يكن ناقدا أدبيا فحسب، بل هو مفكر وسوسيولوجي وفيلسوف وسياسي. ولا غرابة - إذن - أن يجد القارئ شيئا من العسر والغموض في جزء غير هين مما يكتبه لوكاش الذي افتتح حياته الفكرية منتهلا من "الكانتية الجديدة" و"الهيغيلية" رغم تحوله عنهما في سن مبكرة" (لوكاش،1986، ص: 9).

وقد تناول جورج لوكاش في كتابه هذا الذي طبع لأول مرة في العام 1978 في الفصل الأول شكل الرواية التاريخية الكلاسيكي، والظروف الاجتماعية والتاريخية لنشوء الرواية التاريخية، والرواية التاريخية الكلاسيكية في الصراع مع الرومانتيكية. أما الفصل الثاني فقد تناول فيه الرواية التاريخية والمسرحية التاريخية، وحقائق الحياة التي يقوم عليها الانقسام بين الملحمة والمسرحية، وخصوصية خلق الشخصيات، إضافة إلى

تصوير الصدام في الملحمة والمسرحية، ومخطط التطوير في المسرحية والفن المسرحي. وتناول في الفصل الثالث الرواية التاريخية وأزمة الواقعية البرجوازية، والتغيرات في مفهوم التاريخ وصنع الخاص والتحديث والاغتراب، ومذهب المعارضة العامية الطبيعي، و"كونراد" ونمط الرواية التاريخية الجديد، واتجاهات الانحطاط العامة وترسيخ الرواية التاريخية بوصفها نوعا خاصا.

ومما أشار إليه جورج لوكاش، وهذا خلافا للكثير من المنظرين والنقاد في عصره، أن الرواية التاريخية ظهرت في بداية القرن التاسع عشر، لكن، يلاحظ أنه كانت هناك بوادر لروايات تاريخية ونصوص روائية، كانت تتخذ موضوعاتها من التاريخ، وقد ظهرت بعض تلك الروايات قبل هذا التاريخ، وبالتحديد في القرنين السابع عشر والثامن عشر، هذه الروايات القروسطوية يمكن لنا أن نعتبرها مقدمات للرواية التاريخية (لوكاش،1986، ص: 11). أما البداية الفعلية للرواية التاريخية فيشير إليها من خلال رواية الكاتب الأميركي ستيفن كرين التي عنوانها "شارة الشجاعة الحمراء"، رغم أن هذه الرواية رأى أنها كانت مفتقرة بشكل كبير لبعض العناصر الروائية. وكان علينا أن ننتظر مجيء الروائي الإسكتلندي والتر سكوت، الذي يُعدّ من قبل لوكاش وغيره أبو الرواية التاريخية ومطورها الذي على يديه ظهرت وبين يديه تطورت. وبالفعل فقد كانت رواية "ويفرلي" التي أصدرها سكوت في العام 1814 أول رواية تاريخية مكتملة العناصر. وبعدها تواترت رواياته العديدة حتى بلغت قرابة خمس وخمسين رواية تاريخية (فرج، 2000)، وقد سن بفضل رواياته تلك للكتاب الذين جاؤوا بعده أصول الرواية التاريخية الفنية والجمالية، وقد ظلت هذه الأصول متبعة كتقاليد راسخة للرواية المعتمدة على التاريخ سواء في الآداب الأوروبية أو العربية أو العالمية.

ومما يذكر عن روايات والتر سكوت، أنها كانت تشكل أنموذجا للروايات التاريخية الناجحة شكلا ومضمونا، وقد ذكر بعض النقاد أن والتر سكوت كان يأتي بأبطاله وشخوصه من العصور القديمة، ويقوم بمزجها بشخصيات من خياله لا تتعارض مع العصر التاريخي الذي يتحدث عنه، وهكذا أبدع في وصف عادات عاشتها المجتمعات القديمة.

وباتساع دائرة الرواية التاريخية، بمجيء كتاب آخرين كان لهم شأن واضح، وصوت مسموع في مجال الكتابة، فأضافوا إلى هذا الجنس الأدبي إضافات شتى، ومن بين هؤلاء نذكر الفرنسي "ألفريد دوفيني" الذي أصدر سنة 1825، روايته "5 مارس"، وهي رواية تاريخية كانت معبرة أشد التعبير عن العصر الذي قامت بوصفه، وكانت لدوفيني مزية واضحة، وهي أنه جعل الشخصيات التاريخية تقوم بالدور البطولي في حين كان والتر سكوت يجعلها تحتل المكانة الثانية بعد الشخصيات الخيالية. وبعد ألفريد دوفيني سيجيء بلزاك، فكانت إضافاته للرواية التاريخية كبيرة؛ إذ "أضاف ما يسمى بوصفه للعادات،

حيث أصبح التاريخ هو المجتمع، كما ظهر ألكسندر ديماس الأب عام 1844، وحقق نجاحا منقطع النظير. ومرد ذلك النجاح، كما قال فان تيغم، كان يعود لكون ألكسندر ديماس قام بإحياء وتمجيد ماضي فرنسا وانتصاراتها، من دون أن يلزم نفسه بالصدق التاريخي (تيغم، 1967، ص: 242).

لم يتوقف صبيبُ الروايات التاريخية عن الجريان، وإنما استمر مع كتاب آخرين جدد ظهروا في كل البلدان الأوروبية، "أحدب نوتردام" التي رأت النور في العام 1831. وخارج أوروبا، وفي روسيا بالتحديد، ظهر تولستوي صاحب رواية "الحرب والسلام"، وظهر في إيطاليا "ألكسندرو مانزوني" صاحب رواية "المخطوبين" عام 1923، التي قام فيها باستحضار أحداث عاشتها إيطاليا قبل قرنين من الزمان.

وشهدت حقبة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين ظهور وبزوغ أعمال روائية شهيرة لروائيين كبار منهم "كينيث روبرتس"، و"روبرت جريفر"، و"فورستر"، و"هوب متز"، و"ماري رينولت"، و"مارجريت يورنيسار"، و"زوي" أو "لدنبرج"، و"سكوت".

كانت الرواية التاريخية في عهد هؤلاء مرتبطة أشد ما يكون الارتباط بعهود ماضية، وكانت مليئة بالحكم والعبر التي أراد كتاب هذا العصر ضخها في عقول قُرّائهم حتى تستقيم شخصياتهم ويشتدّ عودهم ويقوى.

ومع نهاية القرن العشرين، وبداية النهضة الأدبية في عصر الحداثة، ظهر كتاب آخرون حققوا للرواية التاريخية تطورا بينا، فصارت الرواية التاريخية تختلف عن الروايات التاريخية التي ظهرت في العهود السالفة. وظهر روائيون يختلفون في ثقافتهم عن أولئك الذين سبقوهم. فقد ظهر الإيطالي "أمبرتو إيكو" صاحب رواية "اسم الوردة" التي عُدّتْ من أعظم الروايات التاريخية التي ظهرت في القرن العشرين، وقد لفتت انتباه النقاد بحكم نوعية الكتابة التي وظفها فيها أمبرطو إيكو وهو الفيلسوف والناقد والسيميولوجي. ومما يذكر أن الرواية التاريخية في هذه الحقبة بالذات صادفت هوى عند كتاب الغرب، كما انتقل هذا الهوى إلى الكتاب العرب.

تلكم كانت لمحة موجزة عن تاريخ "الرواية التاريخية" التي شكلت تنويعا أدبيا على الجنس الروائي، والتي جاءت، كما أكد المنظرون والنقاد، من أمثال جورج لوكاش وغيره، لتلبية حاجات اجتماعية وفكرية، احتاج إليها إنسان أوروبا الطامح إلى التشبث بهويته المفقودة والتمترس خلفها، لاتقاء شرّ الحروب والمآسي والمجاعات والآفات التي ألمت به وأصابته في مقتل.

ويهمنا الآن الإشارة إلى بعض مؤلفات الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وخاصة مؤلفاته التي تندرج تحت عنوان الرواية التاريخية، قبل أن نُعرّج على ذكر بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت بالدرس والنقد والتحليل والتمحيص رواية "الشيخ الأبيض" التي هي مدار بحثنا هذا.

ثانيا- بعض من مؤلفات الدكتور سلطان بن محمد القاسمي:

1. التعريف بالدكتور سلطان بن محمد القاسمي:

ويُعدُّ الشيخُ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي واحدا من كتاب منطقة الخليج العربي بامتياز، وهو من المشتغلين بالأدب والتاريخ، هذان المجالان المهمان خاصة، وفي المجال الذي يهمنا نستطيع أن نشير إلى مؤلفات الشيخ الدكتور سلطان العديدة في مجال الفّن الروائي، فله خمس روايات تاريخية، وهي: روايات "الشيخ الأبيض" (1994م) التي هي مدار بحثنا هنا، و "الأمير الثائر" (1998م) و "الحقد الدفين" (2004م،) و "بيبي فاطمة وأبناء الملك" (2018م) و "رأس الأمير مقرن" (2019م)؛ وكل هذه الروايات نالت استحسانا من لدن نقاد الرواية ودارسيها كما سنرى ذلك في فقرة قادمة.

إن كل هذه الأعمال -كما يؤكد أحد دارسي كتابات الشيخ- هي "روايات تجمع بين السرد التاريخي والفّني، غير أّنها منطلقة من أحداث حقيقية تؤكّدها الوثائق التاريخية التي اطلع عليها، كما أّنها تثير مجموعة من الأفكار والتحليلات المتعّلقة بالأحداث الخاّصة بالوجود الغربي في المنطقة العربية، ورفض الإنسان العربي للوجود العسكري الاستعماري" (بطاهر، 2019، ص:2).

2. بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت رواية "الشيخ الأبيض":

لقد تمّ تناول رواية "الشيخ الأبيض" من قِبَل نقاد عديدين، وذلك في عدد من الدراسات الحديثة، بعضها اهتمّ بالكتابة الفنية في الرواية، وبعضُها الآخر اهتم بموضوع رواية "الشيخ الأبيض" تحديدا، على أنها اشتغلت عليها [في معظمها] بالتحليل والدراسة، "مركزة على محتواها التاريخي وأبعادها السياسية والثقافية، وأشارت -بصورة مقتضبة- إلى بعض عناصرها الفنية كالأحداث والشخصيات والحوار والسرد" (بطاهر، 2019، ص:3). واشتغل بعضها الآخر من حيث لونها التاريخي وعلاقتها بالتاريخ.

ولعلّ من أهم الدراسات التي تناولتها دراسة د. بن عيسى بَطّاهر نفسه، الموسومة بـ "رواية "الشيخ الأبيض": الرؤية والتشكيل الفني"، والمنشورة في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 16 العدد 2، ديسمبر 2019م.

على أن من أقدم هذه الدراسات، "دراسة فاطمة خليفة (2003م) التي عنوانها "تقنيات السرد في الرواية الإماراتية،" والتي حاولت فيها الباحثة أن تستعرض بعض التقنيات التي تلجأ إليها الرواية والرواية الإماراتية بالتحديد، والدراسات كما لاحظنا دراسة قيمة تناولت كما يشير عنوانها إلى بعض التقنيات الموظفة في السرد التاريخي خاصة والروائي بعامة.

وهناك دراسة ثالثة وهي دراسة صبيحة زعرب (2007م) المعنونة بـ "الخطاب السردي في رواية الشيخ الأبيض"، والمنشورة في مجلة "الرافد"، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، العدد 12.

وهناك دراسة رابعة وهي دراسة زينب بيرة جكلي (2009م)، الموسومة بـ"الفن المسرحي والروائي عند صاحب السمّو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي" (بطاهر، 2019، ص:3 -4)، وقد صدرت هذه الدراسة الأخيرة عن دار الضياء، عمان، الأردن.

نضيف إلى تلك الدراسات دراسة خامسة، وربما جاز لنا اعتبارها من أهم الدراسات التي اطلعنا عليها حول رواية "الشيخ الأبيض"، وهي دراسة الدكتور عموري السعيد، وهي دراسة عنونها بـ "رواية (الشيخ الأبيض) لسلطان القاسمي: التاريخ والهوية خلف أسوار السرد". وقد قدمت هذه الدراسة ضمن بحوث المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية المنعقد بتاريخ الخميس 8 مايو 2014 الموافق الخميس 9 رجب 1435، وقد نُشرت ضمن موقع المؤتمر (المؤتمر الدولي للغة العربية، الخميس 7 مايو 2020 ميلادي - 14 رمضان 1441 هجري).

وبإمكاننا الإشارةُ إلى دراسات أخرى تناولت جميعُها روايات الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، ومنها:

1. السالم يوسف (2003)، "في رحاب التاريخ: قراءة في مؤلفات الشيخ سلطان بن محمد القاسمي"، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
2. سرحان، سمير (2005) "الأعمال الإبداعية للشيخ سلطان بن محمد القاسمي المسرحيات"، هارموني للطباعة والنشر، القاهرة.
3. صبري عبد الفتاح (2005)، الرواية في الإمارات: توصيفات أولية، بحث منشور ضمن كتاب: "شاهد على التاريخ: نظرات نقدية في الأعمال المسرحية والروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي"، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
4. عزت عمر (2005)، "الرواية التاريخية والوثيقة: الشيخ الأبيض كنموذج"، بحث منشور ضمن كتاب: "شاهد على التاريخ: نظرات نقدية في الأعمال المسرحية والروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي"، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.

5. فاطمة خليفة أحمد (2005)، "الرومانسية التاريخية في روايات سلطان القاسمي"، بحث منشور ضمن كتاب: "شاهد على التاريخ: نظرات نقدية في الأعمال المسرحية والروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي"، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.

6. الفيصل، سمر روحي، (2010)، "الرواية التّاريخيّة بين الحقيقة والتَّخييل"، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.

***

كلُّ تلك الدراسات وغيرها أشادت برواية "الشيخ الأبيض" باعتبارها رواية ألقت الأضواء الكاشفة على مرحلة مهمة جدا من مراحل تطور منطقة الخليج العربي، حين تكالبت دول الاستعمار عليه، فأرسلت موفديها من الجواسيس والتجار ليكونوا عين الاستعمار على المنطقة كلها.

ثالثا- تحليل رواية "الشيخ الأبيض":

1. دواعي تأليف رواية "الشيخ الأبيض":

في مفتتح الرواية يذكر لنا الشيخ سلطان بن محمد القاسمي هذه الكلمة المختصرة التي قدم بها روايته، وهو يخبرنا فيها بالسبب الذي دفعه إلى كتابة هذه الرواية. يقول الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ما يلي:

"زارني الممثل الأمريكي "باتريك سويزي" "Swayze Patrique" في السنة الماضية، وأثناء مجاذبة الحديث ذكر لي بأنه رغب مرة أن يمثّل دور "شيخ عربي" وقد طلب من مدير أعماله أن يبحث له عن قصة عربية بطلها عربي سيقوم هو بتمثيل دوره في فيلم. فأجابه مدير أعماله بأن العربي له ملامح خاصة لا تنطبق عليه.

قال السيد "سويزي" بأنه رد عليه قائلا لنبتدع قصة ونذكر بأن جنديا من الجيش الأمريكي الذي نزل في شمال إفريقيا إبان الحرب العالمية الثانية تاه في الصحراء فوجدته القبائل هناك وعاش لدى تلك القبائل حتى أصبح واحدا منهم ثم صار شيخا عليهم.

قلت له ما رأيك لو كتبت لك قصة حقيقية؟

قال: اروها لي.

فرويت له الرواية التالية...". (القاسمي، 1996، ص: 5).

وبالاقتراب قليلا من رواية "الشيخ الأبيض" (ثمانون صفحة)، مدار بحثنا، نعرف أن مؤلفها الشيخ المؤرخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي قد كتبها ليعرض فيها لحياة بطلها "يوحنا هيرمان بول" (Johannes Herman Poll)، هذه الشخصية الغامضة التي أصبحت فيما بعد تسمى باسم عربي هو اسم "عبد الله بن محمد"، والتي عصفت بها رياح الغرب وأطماعه التي لا تنتهي، فجاءت بها ـ عن مصادفة ـ إلى شواطئ سلطنة عمان، وبالضبط إلى المنطقة المسماة بظفار، وهي المنطقة الجنوبية من السلطنة والتي عاشت تاريخا من الاضطرابات قديما وحديثا.

ويمكن القول إن "الشيخ الأبيض" نموذج من الروايات التي تميزت بطريقة كتابتها وطبيعة لغتها. علاوة على ذلك، فكل أحداثها حقيقية، بل وقد حاول الشيخ سلطان بن محمد القاسمي أن يتثبت ويتأكد من أحداثها وحقيقتها، وقد أشار إلى حقيقة هذه الأحداث على صفحة غلاف الرواية الأخير بقوله: "الشيخ الأبيض قصة حقيقية وقعت أحداثها في بداية القرن التاسع عشر، ولكتابتها لم أكتف بما بين يدي من وثائق وكتب، بل قمت بزيارة لمدينة "سيلم" في الولايات المتحدة الأميركية، وشاهدت المباني القديمة في الجزء المتبقي من المدينة القديمة، بلدة "جوهانس بول".... أما في الشرق فقد بحثت عن أحفاد "جوهانس بول" في ظفار، فعثرت على السيد عبد الخالق بن سالمين بن ربيع، وهو ابن السيدة المعروفة في ظفار "حرير" بنت عبد الله بن محمد "جوهانس بول"، وأمها "بريكون" التي تزوجها والدها في أواخر حياته" (القاسمي، 1996، غلاف الرواية).

2. الحكاية في رواية "الشيخ الأبيض":

وتُعدّ رواية "الشيخ الأبيض"، علاوة على ما تمت الإشارة إليه، من الروايات التي نقل من خلالها الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي جانبا من التاريخ المجهول الذي عرفته المنطقة في الماضي. هذا التاريخ الذي يدور حول أحداث أو حول شخصيات، وهذه الرواية بالتحديد، تقوم بسرد أحداث تاريخية وقعت حقيقة لشخص أمريكي أصبح يسمى عبد الله بن محمد بعد أن كان يسمى من قبل بـ (Johannes Herman Poll)، والذي انتقل، وهو لمّا يبلغ العاشرة من عمره، إلى منطقة الخليج العربي، قرب سلطنة عمان تحديدا، ضمن طاقم سفينة أمريكية تجارية تسمى "إيسكس" ESSEX، وذلك بهدف التدرب على الملاحة البحرية.

ومما تذكرُهُ الروايةُ أنّ هذه الشخصية جاءت من مدينة (سَليم Salem) التي تقع في السواحل الأمريكية، وتوجهت بهم سفينتهم إلى خليج عدن، والمناطق الساحلية لبحر العرب، ومما يذكر أن قراصنة أشداء كانوا في تلك المنطقة، فقاموا بالاستيلاء عليها، بالضبط عند جزيرة كمران بساحل اليمن في أواخر أفريل 1806، وقاموا بقتل جميع أفراد

طاقمها، ومصادرة أموالهم وعتادهم وسلاحهم، وسنعرف أن الذي قام بهذه العملية هو شخص يدعى محمد بن عقيل، وهو أحد التجار العرب الذين كانوا يملكون في ذلك الزمن القوة والنفوذ، أما السبب الذي دفعه إلى ذلك فهو محاولته الانتقام من الإنكليز الذين كانوا يشكلون خطرا على مصالحه، وبالتحديد كانوا وراء إفشالهم لمصالحه التي كان يتقاسمها مع الفرنسيين.

وكما تَذْكُرُ لنا الروايةُ، فقد انتهت عملية الهجوم التي قام بها هؤلاء القراصنة المدجّجون بالأسلحة والمدفوعون بهوس الانتقام، بأن أخذ محمد بن عقيل الطفل "بول" ذا التسع سنوات (الرواية ص 10) ليعيش في حضن عائلته. يقول السارد: "وأُرْكب الصبي "جوهانس هيرمان بول" للعمل كغلام على السفينة "إيسيكس"، وكان عمره في ذلك الوقت تسع سنوات" (القاسمي، 1996، ص:10)، يقول السارد أيضا: "كان من عادة سكان "سَليم" أن يُركبوا أبناءهم في سن العاشرة للعمل كغلمان في السُّفن، حتى إذا ما بلغ الواحد منهم سن الثامنة عشرة، أصبح بحارا ماهرا" (الرواية ص 10)، وليجعله ابنا من أبنائه، وتلك كانت رغبة زوجته، ومن هنا تبدأ حياة جديدة لهذا الطفل الذي شاءت الظروف أن يبقى على قيد الحياة خلافا لركاب السفينة الآخرين الذين تمّ ذبحهم ورميهم في البحر.

يقول السارد: "أُنزل "بول" وحيدر مع الأموال التي أُخذت من السفينة "إيسيكس" في الزوارق التي اتجهت بعد ذلك إلى السفينة "المحدار".

وهناك دفعوا بـ "بول" وحيدر إلى سطح السفينة "المحدار" حيث كان السيد محمد بن عقيل قد فرغ هو ومن معه من صلاة الفجر.

قال حيدر: "سيدي، هذا الصبي يريد أن يصبح مسلما ومستعد أن يختن".

سأل السيد محمد بن عقيل العسكري الذي دفع بهما إلى سطح السفينة: "من أين أتيت بهما؟".

قال العسكري: "وجدناهما على ظهر السفينة الأمريكية".

قال السيد محمد بن عقيل لحيدر: "من أين أنت؟"

قال حيدر: "أنا من المخا واسمي حيدر، كنت في اللُّحيّة، وقد ركبت معهم ليوصلوني إلى المخا.. وهذا صديقي "بول".

قال السيد محمد بن عقيل: "يجب المحافظة على حياته".

كان الناس حول السيد محمد بن عقيل يتذمرون لذلك القرار، وأخذوا يقنعون السيد

محمد بن عقيل أن يوافق على قتل الصبي "بول"، وقالوا إنه بذلك لا يبقى أثر للسفينة الأمريكية ومن فيها.

وإذا بصوت زوجة السيد محمد بن عقيل من مؤخرة السفينة تنادي: "سيد، يا سيد، أنا أتشفع فيه، اتركه لي من فضلك".

فقال السيد محمد بن عقيل: "خذوه إليها وليكن ابنا لها". والتفت إلى من حوله وقال: "إنها لم تنجب أولادا". ثم تنهد وقال: "كان لي ابن، الحبيب عقيل، توفي في صباه في المخا منذ خمس سنوات، وكان صالحا، موته كان فجأة! إنا لله وإنا إليه راجعون" (القاسمي، 1996، ص: 34-35-36).

هكذا سيتسمّى "بول" باسم جديد يليق به من ناحية، ويتوافق مع البيئة العربية من ناحية أخرى، وهو اسم عبد الله. وبعد أن قام السيد محمد بن عقيل باستبدال اسم عبد الله باسم بول، كان على عبد الله هذا، بحكم وضعه الجديد، أن يتلقى تربية جديدة هي التربية العربية الخالصة، والصالحة، التي أرادها له أبوه بالتبني، وصار يتعلم الفروسية والقيادة، ويتعلم التشبث بالأرض العربية وبالهوية الإسلامية، وكأنه حلّ محلّ ابن السيد محمد بن عقيل الذي توفي وهو في صباه في المخا (الرواية ص 35-36)، وعندما صار ناضجا لم يرغب ألبتة في الرجوع إلى الوطن الذي جاء منه، رغم محاولات الأمريكان مساعدته على ذلك، وكان ممكنا أن يعود إلى وطنه لو شاء، خاصة حينما شبّ وتحمل مسؤولية تجارة ومملكة أبيه محمد بن عقيل في منطقة ظفار بعمان التي أنشأها بعد صراع طويل وقاسٍ مع أمراء المنطقة. كان من الواجب على عبد الله أن يقوم بمساعدة أبيه في أعماله وأن يكون له خير سند بالرغم من بعده عنه وارتبط هبه فقط بالمعاشرة.

أما السيد محمد بن عقيل، فسيواصل حياته ومغامراته بعد أصبح بجانبه شخص آخر يساعده هو عبد الله. وصارت علاقته متشعبة ومتنوعة الأطراف، فمرة نجده مع الشريف حمود حاكم أبي عريش، ومرة أخرى مع آل سعود، ومرة ثالثة مع الفرنسيين ورابعة مع الإنجليز. وصارت تحركات السيد محمد بن عقيل تجري ما بين المخا ومسقط ومومباي واللُّحَيَّة وصلالة ومرباط... وصارت ثروته تتزايد يوما بعد يوم، ثم دخل في معارك لمساعدة الشريف حمود حاكم أبي عريش في حربه ضد القوات السعودية. وفي لحظة توهجه الكبير صارت له طموحات مع العثمانيين ومع محمد علي حاكم مصر بعد أن صفا له الجو.

يقول السارد: "وكانت بريطانيا في تلك الفترة راضية عنه، وفرنسا قد انتهى نفوذها في المنطقة، والدولة العثمانية أخذت تبسط نفوذها من خلال محمد علي باشا، يدهم المتنفذة في المنطقة، فقرر السيد محمد بن عقيل الذهاب إلى مصر لمقابلة محمد علي باشا. فركب

سفينته ومعه عبد الله وحاشيته وحمل معه الهدايا وتوجه في بادئ الأمر إلى جدة، حيث دعاه باشا مكة العثماني لزيارته في الطائف، فتوجه هو ومن معه إلى مكة حيث وصلها في الخامس والعشرين من رمضان سنة 1238هـ، فاعتمر هو وعبد الله ومن معهما ثم توجهوا في اليوم نفسه إلى الطائف.... " (القاسمي، 1996، ص 70-71).

ثم ينقلنا السارد ليصف لنا شخص محمد بن عقيل وهو يتجول في مصر التي انتقل إليها. يقول السارد: " رأى السيد محمد بن عقيل في مصر أشياء لا يصدقها عقل. فقد وجد لدى محمد علي باشا القوة والأهلية والسفن الحربية والحرف بأنواعها، وله في تلك سياسات عظيمة، حتى إن الذي دخل مصر سابقا لا يعرفها إن زارها مرة ثانية" (القاسمي، 1996، ص 71).

وعندما تيقن السيد محمد بن عقيل من أن أحلامه كلها ما كانت إلا أماني، وما يحق لها أن تتحقق، أنه بعد طول انتظاره لتحقق الوعد الذي وُعد به من قبل، سينقلب على ذاته وسيبدأ (في حكّ جلده بضُفره). يقول السارد في هذا المقام، مقام العودة إلى الذات: " تيقن السيد محمد بن عقيل أن طموحاته لن تتحقق، فالتفت إلى بلده ظفار وأضاف إليها مناطق كثيرة، شملت، سنة 1824م، كل إقليم ظفار، كما وصلت إلى وادي حضرموت أو ربما وادي المسيلة المؤدي إلى وادي حضرموت. ونعمت تلك المنطقة بالاستقرار والازدهار، فبنى السيد محمد بن عقيل القرى، وأقام المزارع والمتاجر حتى أصبحت منطقة تجارية عظيمة، وجعل صلالة عاصمة لمملكته" (القاسمي، 1996، ص: 71-72).

وتأتي المفاجأة التي لم تكن في حسبان السيد محمد بن عقيل، وما كانت لتخطر على باله قط، حينما أصابت رصاصة طائشة وغادرة قلبه أثناء إحدى تنقلاته الكثيرة. يقول السارد: "... وفي ليلة من ليالي رمضان سنة 1829م كان السيد محمد بن عقيل في طريقه عائدا من مرباط إلى صلالة في حراسة عدد قليل من عبيده، وإذا برصاصة تنطلق من جانب وادي المُرّ وتصيبُه إصابة بليغة. هرب العبيد من حوله في تلك اللحظة، فأجهز رجالٌ مجهولون بخناجرهم عليه.

كان مدبر الاغتيال هو الشيخ سالم بن ثوري ابن قحطان زعيم القرا، انتقاما لمقتل أحد أقربائه، قبل بضع سنوات، على يد قوات السيد محمد بن عقيل عندما حاول إخماد بعض الاضطرابات". (القاسمي، 1996، ص: 72-73).

فكانت هذه الرصاصة هي من وضع نقطة النهاية لحياة ابن عقيل المليئة بالحركة والحيوية والمطامح والمطامع، وبإمكاننا أن نقول إن كل هذه الأحداث التي عاشها محمد بن عتيق، بالعرض والطول، تاجرا، ومغامرا، وشيخا، ووسيطا، وطامحا، ومضاربا، ومهووسا بالنجاح..... عاشها والشاب عبد الله يرافقه ويراقبه ويشاركه في الشاذة والفاذة

وفي كل صغيرة وكبيرة، وفيها أظهر براعته وجدارته وقوته وذكاءه، وفوق هذا وذاك أظهر ارتباطه بأبيه، وعلاقتهما المتداخلة والمتينة في كل ما يفكران فيه أو يحاولان إنجازه.

ولو رجعنا إلى تقليب حياة عبد الله من بدايتها وبتطور مع أحداث الرواية، لوقفنا على عدة محطات منها. نعم، لقد جاء عبد الله وهو طفل أو فتى، ثم أخذ اسمه الجديد "عبد الله" ليندمج في المجتمع الجديد الذي فرض عليه، وبدأ هذا الفتى عبد الله يكبر وهو بجانب أبيه، وسيصير يمثل ساعده الأيمن والقوي في تجارته وأعماله وحركاته وتواطآته ومغامراته. يقول السارد شارحا هذه العلاقة القوية: "أرسل [يقصد محمد بن عقيل]، ابنه عبد الله بالسفينة "السقوف" محملة بالبضائع إلى البصرة، وكتب رسالة إلى "جوناثان دنكن" Jonathan Duncan حاكم بومبي والذي كان قد التقى به سنة 1802م عندما زاره في بومبي في ذلك الوقت...." (القاسمي، 1996، ص: 51). هذا يدل على أن عبد الله لم يعد غريبا ولا فتيا وإنما صار بمثابة أبيه، شيخ من شيوخ المنطقة، وفاعل أساسي فيها وفي العلاقات التي تنسج دقيقة بدقيقة في هذه الصحراء المترامية الأطراف.

وبالنسبة لحياة عبد الله، فمن المفيد أن نشير إلى تلك اللحظة الهامة التي كانت ستُغيّر مصيره لا محالة، وهي اللحظة التي حانت فيها الفرصة لعبد الله كي يعود إلى بلاده، عندما عرض عليه الكابتن "كوك" العودة إلى بلاده. يقول السارد واصفا هذه اللحظة الدقيقة: "كان عبد الله قبطانا يجوب البحار على سفن والده السيد محمد بن عقيل، وفي أحد أسفاره تقابل في المخا في شهر مارس 1819م بسفينة أمريكية ذات ساريتين تسمى "سيرين" "Syren"، وتعرّف على قبطانها كابتن "تشارلز كوك" "Charles Cook"، ومساعده كابتن "وليام أوستن" "William Austin"، وروى لهما قصته. وكان يتكلم اللغة العربية، حيث نسي لغته الإنكليزية تماما.

كانت أجوبة عبد الله ارتجالية، وكان تصرفه ومحادثته دالين على أن شعوره طيب، ليس كما كان ينظر إليها الأمريكيون، على أنها خزي كبير. لقد عرض كابتن "كوك" على عبد الله الرجوع إلى أمريكا، وتقديم كل مساعدة وحماية يستطيع أن يقدمها له. أجاب عبد الله بأنه مغرم بزوجته وابنيه، وأنه يعيش في رفاهية لا يتمنى غيرها، وأن السيد محمد بن عقيل صديق ودود له ولا يمكنه فراقه وقد أقسم يمينا أمامه بأنه سوف يعود إلى ظفار، وقال للأمريكيين: "أنا ارتباطي بكم بالدم فقط" (القاسمي، 1996، ص: 66-67).

وسيظل عبد الله يصاحب أباه محمد بن عقيل ويجاوره ويسنده في أيامه الأخيرة. وبعد موته سيواصل مسيرته وسيقدّم ولديه محمد وأحمد (القاسمي، 1996، ص: 78) للحفاظ على مملكة أبيه في معركة ضد قبائل المنطقة، وهي المعركة نفسها التي سقط فيها جريحا، حيث تم نقله إلى مرباط لعلاجه. يقول السارد: " نُقل عبد الله بن محمد إلى قلعة مرباط

لعلاجه، وهناك أخذ اثنان من رجال المهرة، وهما يضمدان جرحه، يسألانه عن أصله؛ لأنه كان يتردد بين أهل المهرة بأنه غير عربي، فأخذ عبد الله يروي قصته.

حتى إذا ما انتهى من روايتها، دخل عليه أحدُ رجال المهرة وهو يصيح.. يا شيخ .. يا شيخ عبد الله.. أنت اليوم شيخ القرا ... وهذه شيوخ القرا كلها جاءت تبايعك..." (القاسمي، 1996، ص: 80).

ثم يختم السارد حكايته كما في الحكايات الشعبية بقوله: "بايعت شيوخ القرا على أن يصبح عبد الله بن محمد شيخا عليهم.

عاش عبد الله بن محمد شيخا لقبيلة القرا مدة طويلة من الزمن. وكان يلقب بالشيخ الأبيض، وقد تزوج في أواخر حياته بالسيدة "بريكون" التي أنجبت له بنتين، توفيت إحداهما بعد وفاته، وعاشت ابنته حرير، فأعقبت الأولاد." (القاسمي، 1996، ص: 80).

هكذا يمكن لنا تلخيص رواية "الشيخ الأبيض"، فهي رواية بدأت من النهاية عبر أسلوب "الفلاش باك" الشيق الذي غالبا ما استعمله كتاب الروايات البوليسية، أي من حيث انتهت المعركة التي سقط فيها عبد الله، جريحا على يد أعدائه. وهي تتخذ هذه التقنية المسماة بالـ"فلاش باك"، أو بتيار الوعي، التي غالبا ما نجدها حاضرة في الروايات البوليسية، حيث إنه بعد أن تتحقق الجريمة وتنتهي، يبدأ البحث، فيتم الصعود في الزمن للكشف عن مجريات الحدث وهوية المجرم. واستعمال هذه التقنية دليل على نضج الكتابة الروائية وتمكن المؤلف من وسائل حكيه للتأثير على القارئ.

وهكذا، فبمجرد ما أن انفتح السرد سيجد القارئ نفسه أمام سارد يقوم بالسرد وفي نفس الآن بدور البطولة، ويتحمل مسؤولية سرد الأحداث والوقائع.

يقول السارد في بداية الرواية:

" في أقصى الشرق من إقليم ظفار وفي بلدة مرباط، حدثت معركة حامية، كان ذلك في سنة 1836 م، عندما جرح عبد الله بن محمد الذي كان يقود رجالا من قبيلة المهرة لاسترداد مرباط من قبيلة القرا، فنقل على إثر ذلك إلى قلعة مرباط. وأخذ رجلان من المهرة يضمدان جرحه، وسألاه عن أصله، لأنه كان يتردد بين أهل المهرة بأنه غير عربي.

فأجاب عبد الله بأنه "جوهانس هيرمان بول" "Johannes Herman Poll " أمريكي الأصل، وأمه وأباه من أصل هولندي، من مدينة تسمى "سليم" " Salem "، في الولايات المتحدة الأمريكية" (القاسمي، 1996، ص: 7).

ويتأكد لنا، ونحن نفتح الرواية، أن المؤلف، يسجل هنا الإطار الحكائي الذي تجري فيه أحداث الرواية، حيث المكان محدد بكونه إقليم ظفار الواقع في جنوب سلطنة عمان والذي كان أرضا للصراع إلى وقت حديث جدا، وأنه في مكان معلوم يقع في هذا الإقليم هو بلدة "مرباط" تقع أحداث المعركة التي يقول عنها الراوي بأنها معركة حامية، وأن ذلك حدث في سنة 1836 م، حيث كانت المنطقة محجا لمغامرات عشرات المغامرين من الرحالة الغربيين الذين كانوا يرحلون إلى المشرق زرافات ووحدانا، لهذا الغرض أو ذاك.

بعد هذه اللمحة الموجزة التي جاءت على لسان السارد والتي سجل فيها مكان ووقت وأحداث الرواية، والتي يمكن تسميتها بالاستهلال، يبدأ السرد على لسان السارد، حيث يفتحه السارد هكذا:

"سرح عبد الله بخياله محاولا تذكُّر موطنه الأصلي. كانت تتراءى أمامه صور غير مكتملة. الزمن واستمرار وجوده مع العرب محت من ذاكرته كثيرا من صور أيام حياته الأولى.

تذكر "سليم" تلك المدينة المزدحمة بالسكان وميناءها الذي كانت ترسو فيه سفن كثيرة، جالبة إليها البضائع من كل بقاع الأرض. كانت صور ملاك السفن تمر بذاكرته، "وليام غري" "William Gray" التاجر المعروف في مدينة "سليم"، و"السيد "وليام أورن" "William Orne "صاحب السفن الكثيرة، ومالك السفينة إيسكس "Essex"، وكذلك "وليام بنتلي" "William Bentley" الشخصية المبجلة في "سليم"، فقد كان يوم إنزال سفينته إلى البحر يوما عظيما لا ينسى، عطلت فيه المدارس، وترك العمال والصناع عدتهم، واندفعوا مع الحشود إلى شاطئ البحر، لمشاهدة ذلك الحدث البهيج. تذكر والده ووالدته، والأشياء التي كانت في بيتهم، مرآة كبيرة، وساعة حائط، وكتبا كثيرة، كذلك مر بخياله ذهابه إلى المدرسة، وحاول أن يتذكر شيئا مما تعلمه لكنه لم يستطع.

تذكر عبد الله أسماء القباطنة، والتي كانت تترادف مع كل مغامرة من المغامرات التي كانت تُروى في "سليم". من ضمن تلك الأسماء كان كابتن "جوزيف أورن""Joseph Orne" قبطان السفينة "إيسكس".

هذه إشارات كان ضروريا استحضارها، وهي متعلقة بالحكاية التي نقلتها لنا الرواية، ولا شك أن هناك دلالات تكمن خلف هذه الحكاية هي ما سنقوم بتحليله في الفقرات التالية.

3. منطق الدلالة: أو الهوية بين التذكر والذوبان:

من المؤكد أن قصة عبد الله ليست مجرد قصة عابرة ذلك أن ما حاولت إبرازه والتركيز عليه ليس فقط وضع الأحداث التاريخية في مكانها، بل وأيضا تلك الدلالة التي

نجدها ثاوية فيها والتي جسدت فكرة الهوية التي تتأتى إما من خلال الارتباط العميق بين الفرد والمجتمع الذي ينشأ فيه أو من خلال الاندماج في مجتمع جديد يقاد إليه عن طريق الصدفة. لقد جاء بول إلى هذه المنطقة التي اختارها المؤلف وهي المنطقة العربية التي تسمى "ظفار" واندمج فيها وفي عائلة الشيخ محمد بن عقيل اندماجا كبيرا حتى ليخيل إلينا أنه ولد عربيا ولم يفد على هذه المنطقة فحسب. بل وقد أصبح من أفراد عائلة محمد بن عقيل الذي ـ كما كتب الدكتور سعيد عموري ـ "أحسن تربيته علما وفروسية وقيادة، وجعله يتشبث بالأرض العربية وبهويتها الإسلامية ولا يرغب في الرجوع إلى بلده الأصلي على الرغم من محاولات الأمريكان مساعدته على ذلك" (عموري، 2013، ص: 1).

من هنا فقد لا نخطئ إذا ما رأينا في حالة عبد الله حالة تعكس لنا ثنائية الأنا والآخر، التي رأى فيها البعض صراعا نفسيا وأيديولوجيا وحضاريا، ورأى فيها البعض الآخر محاولة للاندماج في مجتمع والتمرد على آخر.

ومما يذكر في التنظيرات المتعلقة بهذا الموضوع، أن الحديث عن هذه الإشكالية، أي عن الهوية والاختلاف، أو الأنا والآخر الفكري، الثقافي، السياسي، الجغرافي التاريخي، العرقي...الخ، هو حديث قديم جديد، وهو حديث مترامي الشطآن وأعمق مما قد نتصور. فهو حسب بعضهم "يمتدّ إلى مسارات متشعبة تنحو منحى التجريد والفلسفة والتنظير، كما تتجه -في سياقها المنهجي- اتجاهات عميقة تستحضر كل معاني الإنسان ونشاطاته وتكوينه الوجودي بين العالم المتحقق والمثالي، وحتمية الواقعي والتاريخي بمقاربات أفقية، تحاول قراءة كل خفي ومتجلي وفهم وتفسير وتأويل الظواهر الانسانية وتعالقها، عبر صيرورة تحولات لنشاطات الإنسان الفكرية والأدبية بخاصة، باعتبارها مظاهر تحقق تمتلك –عبر جسد اللغة- إشارات تفعيل عملية التلقي والتأويل" (مجموعة مؤلفين، 2019، ص:1). أي هو حديث أو خطاب متعلق بالإنسان الذي لا يمكنه أن يعيش بلا هوية، ومتعلق بالمكونات التي تشكل هويته وبالمؤثرات التي تؤثر في تكوين هذه الهوية وتلوينها وتجسيدها، وفق ما تطمح إليه النفوس. ومعنى ذلك أيضا وفي السياق ذاته أن "قضايا الهوية والاختلاف والتعدد (....) صناعة اجتماعية تاريخية يمكن للعلوم الإنسانية والاجتماعية (...) أن تسهم في كشف كيفيات اشتغالها من جهة وكيفيات تفكيك مفاعيلها التدميرية من جهة ثانية" (مجموعة مؤلفين، 2019، ص: 1).

والحقيقة أن "النص الروائي بوصفه كيانا لغويا، يصبح مجالا أساسيا للصراع الأيديولوجي متجاوزا الاختلاف بين المنهجين الشكلاني والماركسي، ذلك أن الصراع الأيديولوجي حول المصالح الاجتماعية والاقتصادية يتحول إلى بنيات لغوية تعبر عنها" (لعموري، 2013، ص: 1).

والسؤال الذي ينبغي علينا طرحه هنا هو: ما الذي مثله عبد الله في هذه الحكاية؟ أو بشكل أكثر دقة: ما الذي أراد أن يحققه المؤلف من إدراج حكاية عبد الله في روايته التاريخية هذه؟ هل أراد المؤلف أن يذكرنا فقط بفترة تاريخية كانت، بكل المقاييس، فترة تاريخية عاصفة، خاصة بين المنطقة العربية والغرب؟ أم أن الأمر تجاوز هذا الهدف لمناقشة قضية الهوية التي نكتسبها أو نولد بها.

علينا أن نتأمل عنوان الرواية، فهو يعكس من جهة ما نود الوصول إليه. ولنطرح السؤال التالي: هل من دلالة لتسمية بطل الرواية باسم "الشيخ الأبيض"؟ نعم، من الناحية السيميائية هذا الاسم لم يأت عبثا، ولا اعتباطا، وإنما صيغ لتأدية غرض محدد، هذا الغرض هو تأكيد الهوية التي طبع به "بول" بعد أن صار عبد الله واقضت الظروف أن يمر بعدة مراحل لتأكيد هويته الجديدة وتثبيتها أشد ما يكون التثبيت.

لنقل إن وصول عبد الله إلى درجة تسميته باسم "الشيخ الأبيض" قد مر عبر تحقيقه لمراحل طويلة بدأها بالطفولة حيث جاء إلى كنف عائلة محمد بن عقيل طفلا، ثم ترقى في سلم العمر طفلا ففتى فشابا فرجلا ناضجا فمحاربا قويا حتى نال درجة المشيخة، إن هذا المسار الذي قطعه بول وهو مسار غني بالتجارب لدليل مزدوج أولا على أنه اكتسب هويته الجديدة التي لا محيد له عنها من جهة، أي أن هذه الهوية العربية الاسلامية أصبحت هويته اللصيقة به، وثانيا على أن هويته المكتسبة هذه هي هويته الثابتة والنهائية من جهة أخرى؛ لأنه بها صار من هؤلاء القوم، وبها صار على رأسهم كما يؤكد السارد في الصفحات الأخيرة من الرواية.

يقول السارد: "حتى إذا ما انتهى من روايتها، دخل عليه أحدُ رجال المهرة وهو يصيح.. يا شيخ .. يا شيخ عبد الله.. أنت اليوم شيخ القرا .. وهذه شيوخ القرا كلها جاءت تبايعك.." (القاسمي، 1996، ص: 80). ثم يضيف: "بايعت شيوخ القرا على أن يصبح عبد الله بن محمد شيخا عليهم"(القاسمي، 1996، ص: 80).

ثم يضيف السارد ملخصا حياة عبد الله شيخا: "عاش عبد الله بن محمد شيخا لقبيلة القرا مدة طويلة من الزمن. وكان يلقب بالشيخ الأبيض، وقد تزوج في أواخر حياته بالسيدة "بريكون" التي أنجبت له بنتين، توفيت إحداهما بعد وفاته، وعاشت ابنته حرير، فأعقبت الأولاد." (القاسمي، 1996، ص: 80).

لنقل أيضا إن الهوية الجديدة التي اكتسبها بول وهو القادم من البعيد، اكتسبها عن جدارة واستحقاق، وقد نسي هويته الأولى، بل، واستبدلها بهويته الجديدة. لقد عبر عن أولوية هويته الجديدة عندما عبر للأمريكيين الذي عرضوا عليه المساعدة التمسك بها. وفي هذا الصدد قال للأمريكيين: "أنا ارتباطي بكم بالدم فقط" (القاسمي، 1996، ص: 66-67).

ومعنى ذلك أن هناك الارتباط بالدم الذي لا يكفي للتدليل على صحة الهوية ونقائها، وهناك الارتباط بالمبايعة وبالزواج والإنجاب والأولاد، وهذه هي الهوية الحقة.

هكذا تأخذ قضية الهوية في رواية "الشيخ الأبيض" حيزا مهمًّا في السرد، مما يؤكد أن الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي أراد أن يبين لقارئ عمله هذا أن الهوية الخليجية متاحة للجميع، وأن تحقيقها يمكن أن يكون بأسهل شكل.

بعبارة أخرى، تبدو رواية "الشيخ الأبيض" وكأنها قطعة من السرد الروائي، أو من التاريخ السردي، وهي تحاول أن توقظ الحنين إلى الماضي، إنها رواية من التاريخ وللتاريخ وكما يقول لوكاش فـ "ما يهُمُّ في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي. وأنه لقانون في التصوير الأدبي الذي يبدو أولاً متناقضا ومن ثمة واضحا تماما، وهو أن للكشف عن دوافع السلوك الاجتماعية والإنسانية هذه تكون الأحداث غير المهمة ظاهرا، أي العلاقات الصغرى من الخارج، أكثر ملاءمة من سلسلة أحداث التاريخ العالمي المهمة الكبرى" (لوكاش، 1986، ص: 46).

لننظر الآن كيف تحقق البناء الشكلي والفني في الرواية على اعتبار أن البناء اللغوي هو انعكاس أو تجسيد للبناء المضموني.

4. الجانب الفني والإستطيقي في رواية "الشيخ الأبيض":

لنقل في البداية إن الرواية التاريخية لها من الخصائص الفنية ما يجعلها تتميز وتختلف عن غيرها من الفنون السردية كالرواية والحكاية والقصة القصيرة. ولقد سبق لجورج لوكاتش المنظر الأول للرواية التاريخية، أن تعهّد جنس الرواية التاريخية بدراسة عميقة قدمت مفاصلها الرئيسة وخواصها التي تتفرد بها عن الرواية الفنية.

وسنحاول في الصفحات التالية أن نقارب رواية "الشيخ الأبيض" باستعراض بعض هذه الخصائص التي وهي الخصائص ذاتها التي تحدث عنها "جورج لوكاتش" وأكدها غيره من دارسي الرواية التاريخية.

وسنتناول مجالات الشخصية التاريخية، ونموذجية الحدث التاريخي، وقضية الفضاء (المكاني والزماني) في الرواية التاريخية.

أ. الشخصية التاريخية الشيخ الأبيض:

يعتبر كُتّاب الرواية التاريخية ونقادها "الشخصية" بمثابة الركن الركين في بناء الروايات التاريخية. وقد عبر النقاد والكتاب ومحللو الروايات التاريخية عن أهمية هذا الركن في البناء الروائي، لدرجة أنه صار بمثابة العنصر الأساس الذي تستند عليه الحكاية التاريخية. والحقيقة أن موقف النقد الأدبي من الشخصية ارتبط، كما يرى الباحث الفرنسي فرانسوا راستيي، "من الناحية التاريخية بالاتجاهات الأدبية التي ظهرت في عصر الكلاسيكية. وقد سادت وقتئذ نظرية أدبية عامة ترى أن مرجعية العلامات مصدرها الأول والأساس الواقع الخارجي بكل مظاهره وتمظهراته. ووفق هذا المنظور ظل النص الأدبي يخضع للمبدأ الأرسطي المعروف: المحاكاة. هذا المبدأ الذي يجعل النص ـ أي نص ـ مجرد تصوير لواقع الكائن الإنساني... ومن هنا، كان من المستحيل التمييز بين الشخصية الأدبية وأي كائن إنساني من "لحم ودم" على حد تعبير لاكارد وميشار" (بوعلي، 2020، ص:77، راستيي، 1973، ص: 186).

وقد استمر وجود مثل هذه الرؤية المتخذة تجاه الشخصية لزمن طويل، "ولا شك أن هذه الرؤية النقدية المبنية على مبدأ التكافؤ الدلالي المطلق بين العالم النصي والواقع الخارجي هي التي تفسر لنا هذا الميل الظاهر نحو تفسير الشخصيات في ضوء علاقتها بالمؤلف. وهو الأمر الذي يجعلها تفقد استقلالها المتمثل في كونها صادرة عن فاعلية المؤلف الخيالية وليس عن الحقيقة الواقعية الخارجية" (بوعلي، 2020، ص:77، راستيي، 1973، ص: 186).

ومما يُعقّد الأمر أن الشخصية التاريخية تفرض على الكاتب قيودا قد لا يحتملها، ومما يذكره الروائي الجزائري واسيني لعرج أن "الشخصية التاريخية روائياً – مشكلة حقيقية في سياق الكتابة الإبداعية، الروائية تحديدا" (لعرج، 2018). وسنرى كيف أن الروائي وهو صاحب روايات تاريخية، يعتقد "أنها أهم ما يعيق الرواية التاريخية إذ تضع الكاتب وجها لوجه أمّا حقيقة مادية من الصعب عليه تجاوزها وتخطيها. وكثيرا ما تسببت في مشكلات عائلية أو سياسية، إذ يُتّهم الكاتب الروائي مثلا بأنه خرج عن الحقيقة الموضوعية، وصوّر حقيقة افتراضية" (لعرج، 2018).

وفي سبيل توضيح تعقُّد هذه المسألة يُعطينا واسيني لعرج نموذجا روائيا عن كاتب روائي اختلق نموذج شخصية لا يشبه الشخصية التي عزم عن تسجيلها تاريخيا، يقول واسيني: "يحضرني في هذا السياق الروائي الفرنسي، باتريك رامبو الذي كتب ثلاثية نابليون: كان الثلج يسقط، والمعركة، والغائب، التي حاول فيها أن يخلق شخصية أخرى، تكاد تكون موازية للشخصية الحقيقية، لا تشبه نابليون إلا في ملامحها العامة، لكن الجوهر

هو شخصية أقرب إلى الافتراضية أو الأدبية التي ينطلق فيها الكاتب من تفصيلات صغيرة، ينجز من خلالها نصه وشخصيته كما رآها هو في إبداعه" (لعرج، 2018).

ووفق هذه الرؤية تأخذ الشخصية التاريخية كل أبعادها وتعقيداتها. وبناء على ذلك وجب علينا أن نكون حذرين في تبيان الموقع الذي تحتله شخصيات رواية "الشيخ الأبيض"، فهي شخصيات تكاد تكون تصويرا للحقيقة التي كانت في فترة ما، وسواء تعلق الأمر بالشخصية الرئيسة في الرواية وهي شخصية عبد الله أو الشخصيات الأخرى خاصة شخصية السيد "محمد بن عقيل" التي تحتل مساحة واسعة في الأحداث، أو غيرها من الشخصيات، فإن الأمر سيان، وهو أن ما قصده المؤلف من خلقه لمثل تلك الشخصيات هو الذي عبّر عنه في مفتتح الرواية عندما استمع إلى الممثل الأمريكي "باتريك سويزي" وهو يلتمس منه إمكانية إخراج شريط سينمائي، حيث قال له:

"لنبتدع قصة ونذكر بأن جنديا من الجيش الأمريكي الذي نزل في شمال إفريقا إبان الحرب العلمية الثانية تاه في الصحراء فوجدته القبائل هناك وعاش لدى تلك القبائل حتى أصبح واحدا منهم ثم صار شيخا عليهم.

قلت له ما رأيك لو كتبت لك قصة حقيقية؟

قال: اروها لي.

فرويت له الرواية التالية.." (القاسمي، 1996، ص:5).

انطلاقا من رغبة المؤلف، وهو هنا الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، في تصوير الحقيقة، تبدو لنا شخصية عبد الله في رواية "الشيخ الأبيض" وهي تتفيأ مكانة عالية من بين شخصيات الرواية، فمنذ أن يبدأ السارد في سرد حكايته، وهو يركز على مجريات الشخصية الرئيسة عبد الله. وهي بالفعل شخصية حقيقية وليست متخيلة، لم يبدع فيها المؤلف بقدر ما تذكر منها الأشياء الأساسية التي احتفظ بها في ذاكرته. ولذا فقد رسمت بأدق التفاصيل، حتى كادت تظهر وكأنها حقيقية.

إن شخصية عبد الله، إن في بداية نشأتها، ونعني بذلك فترة طفولتها، أو في وسط حياتها، حينما صار عبد الله "الفتى الناضج" يمثل أباه ويسافر مكانه، ويقود سفينته، أو في فترة اقترابها من أجلها المحتوم، أي عندما بوأه قومه وهو ليس من صلبهم مكان الصدارة و"المشيخة"، فصار هو يتحكم فيهم، وصاروا هم يطيعونه، إن هذه الشخصية في كل الحالات التي ذكرنا، ظلت وفية لأعراف الصحراء والعروبة والنخوة الأصيلة، فصارت تمثل ما يمثله قومها وقد باتت تنتمي إليهم بالجوار والعيش والتواجد وليس بالدم أو الولادة.

أما الشخصية الثانية في الرواية فهي شخصية السيد محمد بن عقيل التي أشرنا من قبل إلى أهميتها. وتأخذ هذه الشخصية مساحة كبيرة من السرد، وهي من جهة أخرى تمتلك قوة تمثيل كبيرة، تلك القوة التمثيلية التي جعلته على مستوى السرد يهيمن على السرد، وعلى مستوى المضمون يبسط هيمنته على الأحداث ويوجهها كما يريد ويشاء.

وبناء على ذلك يُشكل السيد محمد بن عقيل بالنسبة لمؤلف الرواية الوجه العروبي المحلي الرئيس أو الوجه الممثل للهوية المحلية داخل العالم الروائي الذي استدعاه المؤلف من التاريخ البعيد، ومن هذا الجانب يبدو لنا، يقول واسيني لعرج مرة أخرى، كما لو "أن أوّل رهان (لـ) كاتب الرواية التاريخية (هو) أن يسيطر على مواصفات شخصياته التاريخية والاقتراب منها بشكل أعمق يتجاوز المظاهر الخارجية فقط، ويسيطر أيضا على مساحات عمله بجدية وارتداء قناع المؤرخ" (لعرج، 2018، ص:5).

وتظهر هذه الرغبة التي يُظهرها المؤلف في محاولته السيطرة على تقديم كل مواصفات الشخصية التي هو بصدد تقديمها إلى قارئه، وهي شخصية محمد بن عقيل، وذلك من خلال إعطائها كل المساحة التي من خلالها تتمكن من عرض ما تمثله هي سواء في أفعالها.

ومما يؤكد لنا أهمية هذه الشخصية كون مؤلف الرواية يجعلها تتحرك في كل المساحات والفضاءات التي أثث بها روايته. فالسيد محمد بن عقيل يتحرك في تلك الفضاءات جميعها مرباط المخا صلالة وغيرها من الأمكنة التي عجّتْ بها الرواية. ثم، وهذا أمر آخر، يكاد السيد محمد بن عقيل أن يتلوّن بجميع الألوان والظلال، مما يجعلنا نؤكد أن نجاح المؤلف في التصوير آت من هذا الجانب، أي الجانب المتعلق بقدرة المؤلف العجيبة على متابعته الدقيقة لتحوّلات هذه الشخصية وتحركاتها.

وإنه لجانب إيجابي عند المؤلف الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، حيث نراه يمسك بتلابيب الوصف والمتابعة والتغطية لكل الوجوه والجوانب التي عالجها، وكما يقول واسيني لعرج فإن "النجاح في الشخصية الروائية هو نجاح في الرهان الذي ينطلق الكاتب منه، أي مسح كل الظلال التي تغطي أو غطت الشخصية زمنا طويلا، يحررها الكاتب من عقال الحقيقة المفترضة، التي ليست بالضرورة الحقيقة، لكنها حقيقة من كتب تاريخها" (لعرج، 2018، ص:5).

ب. "الشيخ الأبيض" ونموذجية الحدث التاريخي:

إذا انتقلنا إلى الركن الثاني من أركان الرواية التاريخية، ونعني به ركن الحدث التاريخي، فمن الطبيعي أن نقول عنه إنه الفعل الأساس الذي به تتطور الحكاية، وفي

حالـة روايـة "الشـيخ الأبيـض"، فالأحـداث، وهـي تتطـور وتتراكـب، تـكاد تلخـص الحيـاة كمـا هـي فـي تلـك المنطقـة الاسـتراتيجية مـن الخليـج العربـي.

لكـن لنطـرح هـذا السـؤال أولا: مـا الـذي يعنيـه الحـدث فـي الروايـة التاريخيـة؟ ومـا الـذي يعنيـه فـي هـذه الروايـة بالضبـط؟

هـذا السـؤال طرحـه نقـاد الروايـة التاريخيـة. ومـن قبْـل طرحـه "جـورج لوكاتـش"، وقـد تسـاءل بالتحديـد مـا إذا كانـت كل الأحـداث بأنواعهـا المختلفـة، تمثـل أحداثـا تاريخيـة، بغـض النظـر عـن نوعيتهـا.

والواقـع أن الروائـي الـذي يكتـب الروايـة التاريخيـة، إنمـا يقـوم بتسـريد التاريـخ كمـا أشـار بعضهـم إلـى ذلـك، وتسـريد التاريـخ يتوقـف علـى مـدى معرفتـه بالوقائـع التاريخيـة كمـا هـي مسـجلة فـي المدونـات التاريخيـة التـي تـم تدوينهـا مـن قبـل المؤرخيـن. وبالنسـبة لروايـة "الشـيخ الأبيـض" فالأمـر يتعلـق بمجريـات الأحـداث التـي ترافقـت مـع تمـدد الاسـتعمار الغربـي شـرقا نحـو شـواطئ الخليـج العربـي، وذلـك بـدءا مـن نقطـة البدايـة التـي انطلقـت منهـا الأحـداث وهـي النقطـة التـي تبـدأ بإشـارة السـارد إلـى وصـول ثمانيـة سـفن تابعـة لتجـار مـن "سـيلم" إلـى مدينـة "سـيلم" وهـي قادمـة مـن "المخـا". يقـول السـارد، وهـو يلتقـي بقـول عبـد الله:

" بدأ عبد الله يروي قصته:

فـي سـنة 1805م وصلـت مـن المخـا ثمانـي سـفن تابعـة لتجـار مـن "سـيلم"، وقيـل إن أربـاح أولئـك التجـار بلغـت 200% ممـا دفـع السـيد "ويليـام أورن" إلـى أن يبعـث بسـفينته "إيسـيكس" إلـى شـواطئ الجزيـرة العربيـة لينـال مـن تلـك التجـارة المربحـة.

كان كابتـن "جوزيـف أورن" قبطـان السـفينة "إيسـيكس" لا يعـرف شـيئا عـن شـواطئ الجزيـرة العربيـة، ومـع ذلـك كلفـه عمـه السـيد "وليـام أورن" بتلـك المهمـة، ودفـع لـه سـتين ألـف دولار أمريكـي نقـدا لشـراء البـن مـن المخـا. وأركـب الصبـي "جوهانـس هيرمـان بـول" للعمـل كغـلام علـى السـفينة "إيسـيكس"، وكان عمـره فـي ذلـك الوقـت تسـع سـنوات" (القاسـمي، 1996، ص:9- 10).

ج. الفضاء الروائي في "الشيخ الأبيض":

مـا المقصـود مـن مصطلـح الفضـاء الروائـي؟ إننـا نقصـد منـه مـا عنـاه النقـاد الأوروبيـون والفرنسـيون تحديـدا بــ مصطلـح Espace Romanesque، وهـو مصطلـح أجمـع عليـه جميـع النقـاد بوصفـه المصطلـح الـذي جمـع بيـن طرفـيْ "الزمـان" و"المـكان" اللذيـن يوظفهمـا الروائـي، بوصفهمـا مكونيـن أساسـيين فـي السـرد الروائـي واللذيـن مـن دونهمـا لا يتحقـق لا السـرد ولا الحكـي.

ومن التعريفات المهمة للفضاء ما قدّمه الناقد الفرنسي هنري ميتران حين رأى "أن الزمان والفضاء مقولتان جوهريتان في الرواية. وكل منهما سبق أن كان موضوع أعمال متعددة" (Mitterand, 1990.p.98).

غير أن ما سنذهب إليه نحن هنا هو حديثنا عن "الزمان" المعاش في "الشيخ الأبيض"، وحديثنا كذلك عن "المكان" الذي ضمّ أحداث الرواية كما حكاها لنا ساردها. فالزمان الذي نقصد هو زمن الأحداث من بدايتها إلى نهايتها، والذي يبدأ من التاريخ الذي وصلت فيه، من المخا إلى "سيلم"، سفن تجار "سيلم" في العام 1805، أي في بداية القرن التاسع عشر، وتستمر إلى غاية وفاة بطل الرواية عبد الله بن محمد الذي صار شيخا لقبيلة "القرا". ولعلّ أبرز هذه التواريخ التي تذكر في الرواية هي التالية: 1805 / 1810 / 1820 / 1836.....

أما المكان الذي نقصد هنا فهو ذلك الحيز الجغرافي الذي دارت فيه أحداث الرواية بكل تفاصيلها، وهو ليس بالحيز الضيق، ولكنه حيز ظل ينفتح بانفتاح الأمكنة التي ضمتها رواية "الشيخ الأبيض"، إنْ داخل الرقعة الجغرافية للجزيرة العربية أو خارجها، أو على مشارف الهند وبلاد فارس....

ومن هنا، فالفضاء الذي سنحاول أن نقاربه هو الفضاء الذي جرت فيه أحداث رواية "الشيخ الأبيض". ومن الطبيعي التأكيد أن من طبيعة الرواية التاريخية فنيا وأسلوبيا انطلاقُها من أحداث وشخصيات حقيقة كانت أو عاشت في زمن مضى، فهي؛ أي: الرواية التاريخية، كبنية أدبية وكخطاب لغوي قائمة على بنية زمنية تتشخص في بنية مكانية هما معا ينتميان إلى زمن تاريخي مضى وانقضى.

أما البنية الزمنية التي نقصد فهي تلك الفترة التاريخية التي شغلتها أحداث الرواية، من 1805م وهي السنة التي وافقت تاريخ رسو سفن تجار "سيلم" الآتية من "المخا" وقد حققوا ربحا وفيرا. الأمر الذي سيشجع آخرين إلى السفر إلى تلك الأصقاع البعيدة ("المخا" والخليج العربي) بحثا عن البُنّ الشرقي والأرباح الوفيرة.

وأما الحيز المكاني فهو ذلك الحيز الذي يبدأ من مدينة "سيلم" الواقعة في القارة الأمريكية، وينتهي في مدينة "المخا" الواقع ميناؤها في الخليج العربي، وكل ما تفرع من تلك المدينة من أمكنة أخرى، مثل: جزيرة كمران، جدة، صلالة، مرباط، وجميع الأمكنة الأخرى التي تؤثث رواية "الشيخ الأبيض".

ومما ينبغي الإشارة إليه أن "مفهوم الزمن ــ كما ترى د. مها حسن القصراوي ــ يخضع لدراسات فلسفية ونفسية وأدبية، تحاول تفسير ماهيته ووجوده وعلاقته بالوجود

الإنساني، وتمتد هذه الدراسات في عمق الماضي الثقافي الإنساني، في محاولة للإجابة عن تساؤلات ما زالت تحير الإنسان، وتجعله يقف عاجزا أمام تدفق الزمن وجريانه" (القصراوي، 2004، ص: 7).

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ذهبنا إلى القول إن الزمن في رواية "الشيخ الأبيض" ينبع من تاريخ قديم شهد صراعات بين الشرق والغرب، ومواجهات عنيفة كانت تنتهي في غالبها بانتصار هذا الغرب المتجبر والمتغطرس وغير المبالي، وبتعبير أكثر دقة فإن هذا الزمن هو الزمن الذي شهد سطوة الغرب على الشرق في علاقة غير متوازنة بحيث كان الغرب في قمة قوته وجبروته وكان الشرق ضعيفا ومقهورا. هذا بالإضافة إلى أنه يأخذ دلالته كلها من هذا المناخ الذي واجه فيه الشرق تلك الرغبة الجامحة للغرب في محاولته النفاذ في أعماقه وتجاويفه. ولم يكن الزمن بالنسبة للحكايات التي تقدمها رواية "الشيخ الأبيض" مجرد غلاف أو ديكور خارجي بل ظل الزمن من بدايات سرد السارد إلى النهاية المحتومة للرواية، هو أساس هذه الحكايات، وهكذا فلا يمكن لنا إلا أن ننظر إليه "باعتباره هيكلا تقوم عليه بنية الشكل الروائي" (القصراوي، 2004، ص: 7).

ومن الممكن لنا أن نرى في توالي الأحداث في رواية "الشيخ الأبيض" واستمرار الأفعال السردية التي شارك فيها كل من السيد محمد بن عقيل الأب، وعبد الله، ابنه بالتبني، مجرد أحداث رافعتُها هو الزمن الذي ينثال يوما بعد يوم وسنة بعد أخرى، وكأن الوجود، وخاصة وجود شخصيات "الشيخ الأبيض" هو الزمن ذاته بانسيابه وجريانه، وكما نقرأ في بعض الدراسات "فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه، هو إثبات لهذا الوجود أولا، ثم قهره رويدا رويدا بالإبلاء آخرا. إن الزمن موكل بالكائنات، ومنها الكائن الإنساني، يتقصى مراحل حياته ويتولج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء، ولا يغيب عنه منها فتيل، كما تراه موكلا بالوجود نفسه، أي بهذا الكون يغير من وجهه ويبدل من مظهره، فإذا هو الآن ليل وغدا هو نهار، وإذا هو في هذا الفصل شتاء، وفي ذاك صيف" (مرتاض، 1998، ص: 199).

وهكذا تخضع أحداث رواية "الشيخ الأبيض" التاريخية والمترابطة إلى هذا النوع من التقدم في الزمن. حيث يبدأ بول الطفل صغيرا، وهو يصعد السفينة المغادرة لـ "سيلم" في الولايات المتحدة، واسمها "إيسيكس"، رفقة الكابتن "جوزيف أورن"، ثم ينتقل إلى مرحلة الشباب بعد سنوات من الوجود بين أحضان عائلة أبيه بالتبني، إلى أن يصير ناضجا، وقادرا على الرد على من أرادوا إعادته إلى جذوره.

ثمة إذن نوع من التوجه إلى أمام، فلا شيء يمكن الوقوف أمام تقدم الزمان، هذا الزمان الذي "هو، من ناحية، نتيجة للنشاط الخلاق، ومن ناحية أخرى، نتيجة للتفسخ والتفكك" (الخانجي، 1982، ص: 264).

وإذا انتقلنا من ركن الزمن الروائي إلى ركن المكان الروائي، فإننا سنقف أمام ركن "المكان" بوصفه ركنا آخر من أركان الرواية، وباعتباره، كما يطرح ذلك نقاد الرواية ومنظروها، "مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين" (بوعزة، 2010، ص: 99).

ولا شك أن المكان في رواية "الشيخ الأبيض" تؤسسه اللغة الروائية، فهو "مكون لغوي تخييلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ لا من موجودات وصور" (كاصد، 2003، ص: 128). وقد ينبثق من اللغة، ولكنه ركن أساس من أركان روايات الشيخ سلطان التاريخية.

والواقع أنه عندما نتناول المكان الروائي في رواية "الشيخ الأبيض"، فبالرغم من الفكرة القائلة بأن النص الروائي، يقوم بخلق هذا المكان الخيالي بالدرجة الأولى "عن طريق الكلمات" (كاصد، 2003، ص: 128)، وقد يمنحه "مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة" (كاصد، 2003، ص: 128)، فإننا نرى كيف أن المكان الروائي، في تصور معظم الباحثين في مجال النقد الأدبي والدراسات السردية بالتحديد، هو مكان قائم بذاته، ومن ثمة فهو يتأسس على مقومات وخصائص خاصة به، الأمر الذي يجعله بمثابة "العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها بعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق" (النصير ، 1986، ص: 5).

وليس هذا فحسب، فـ "المكان يلد السرد قبل أن تلده الأحداث الروائية وبشكل أعمق وأكثر أثرا" (النصير ، 1986، ص: 5)، إذ ثمّة علاقة وطيدة بين السرد وخلق الأمكنة، فالسرد وهو يتناسل من خلال اللغة يخلق أكوانه وعوالمه وأمكنته.

ولدى مؤلف "الشيخ الأبيض" الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، يأخذ توظيف المكان أهمية قصوى. وقد أشار إلى ذلك الدكتور بن عيسى بطاهر حين قال: "وأما توظيف المكان في البناء الروائي فهو الجزء الذي يمكن أن يطلق عليه مصطلح الخلفية، إذ إن الخلفية لا تقتصر على المكان ووصف الطبيعة، ولكنها تتكون أيضا من البيئة كلها، الريف والمقاطعة والوضع الزراعي أو الرعوي والمناخ والعادات والمستويات الاقتصادية ... وغيرها" (بن عيسى، 2021 ، ص: 5).

ومما يضيفه د بن عيسى وهو يشير إلى قدرة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي على خلق الأمكنة وإيلائها المكانة اللائقة بها، قوله: "وقد حرص الكاتب على الإشارة إلى الأماكن المختلفة المحدّدة بإطارها الجغرافي، ولا سيما أماكن الصراع وأسماء البلدان والأقاليم وذلك لإثبات الواقعية التاريخية على الأحداث، كما بدا توظيف المكان فنيا في الحديث عن البحر والسفن العائمة التي كانت مسرحا كبيرا للأحداث، ولكن لم يتطرق

الكاتب إلى تفاصيل المكان ودلالاته الإيحائية، غير أنّ دلالة السفينة بأسمائها المختلفة ـ وبوصفها أداة عسكرية واقتصادية ـ على الحركة البحرية في المنطقة، والمحاولات المتكرّرة لاحتلال منطقة الجزيرة العربية، كما كان لظهور المسجد في الرواية دلالة على الهوية الدينية للمنطقة" (بن عيسى، 2021، ص: 16).

5. الخاتمة:

هكذا بدتْ لنا رواية "الشيخ الأبيض"، رواية تمتح من تاريخ المنطقة، وقد كتبها الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي بكثير من الفنية والإتقان والتميز، بحيث ظهرت الرواية، من بدايتها إلى نهايتها، رواية تاريخية تؤكد على حقيقتها وحقيقة شخوصها.

ومما تميزت به رواية "الشيخ الأبيض" ما نسجله هنا من خلاصات:

1. إن رواية "الشيخ الأبيض" رواية تاريخية بكل ما يعنيه هذا المصطلح من معنى. فشخصياتها تاريخية ووقائعها تاريخية يمكن التأكد منها ومن وقوعها، وأحداثها وقعت بالفعل وهي مدونة في مدونات مكتوبة وموثقة، وأمكنتها وأزمنتها حقيقية يمكن التحقق منها، وهذا الاستنتاج لا يتعارض مع مفهوم التخييل الذي يعد من المفاهيم الجديدة.

2. إن رواية "الشيخ الأبيض" تم تأليفها من أجل تحقيق رغبة واضحة لدى مؤلفها، وهي الكشف عن بعض الحقائق التاريخية التي عاشتها المنطقة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وهي الحقائق التي ضمنها الرواية، من خلال ذلك الاحتكاك الذي وقع بين الغرب والشرق، والذي كان الدافع إليه نزعة الغرب الاستعماري في اكتشاف الشرق.

3. إن رواية "الشيخ الأبيض" جسدت ما يمكن تسميته بالصراع بين الهوية والاختلاف، من خلال نموذج بطلها عبد الله الذي استطاع أن يتخلى عن هويته الحقيقية وأن يكتسب هوية جديدة. إن مجرد طرح هذه الإشكالية من خلال عمل سردي دليل على كون المؤلف يدعو إلى ثقافة الحوار والسلم، ويهتم بهذه الثقافة التي صارت ثقافة الدول المتحضرة.

4. إن رواية "الشيخ الأبيض" كتبت كي يحقق من خلالها مؤلفها غايات وأهداف تربوية وحضارية، وقد تجسد ذلك في الكشف عما كان من وراء الاحتلال الأجنبي للبلاد العربية، وما كان يرافق ذلك من معاناة الإنسان العربي في عالم كانت تسود فيه الفوضى والعصبية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

بطاهر، بن عيسى (2019). رواية "الشيخ الأبيض": الرؤية والتشكيل الفني. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، *16*(2). https://doi.org/10.36394/jhss/16/2A/3

بطاهر، بن عيسى (2021). روايات الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. منشورات جامعة الشارقة.

بوعزة، محمد (2010). تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم). منشورات الاختلاف الجزائر.

بوعلي، عبد الرحمن (2020). الشخصيات الروائية في النص السردي. مجلة "فصل الخطاب"، جامعة ابن خلدون، *8*(2)، الإصدار 30.

تيغم، فليب فان (1967). المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا (ترجمة فريد أنطونيوس). منشورات عويدان.

ثليلاني، أحسن و طاجين، سماح (2013). حضور التاريخ وتوظيفه في الكتابة الروائية: رواية البيت الأندلسي. في واسيني لعرج (محرر). الملتقى الدولي السادس في تحليل الخطاب. جامعة 20 أوث 1955 سكيكدة.

الخانجي، عبد الرحمن (1982). اللغة.. الزمن.. دائرة الفوضى. مجلة فصول، *2*(2).

عموري، السعيد (2013). رواية (الشيخ الأبيض) لسلطان القاسمي التاريخ والهوية خلف أسوار السرد.

فرج، مريم جمعة (2000). قراءة في الرواية التاريخية. مجلة البيان، (46). الموقع: http://www.albayan.com.ae.

القاسمي، الشيخ الدكتور سلطان بن محمد (1996). الشيخ الأبيض. دار الخليج للصحافة والنشر.

القصراوي، مها حسن (2004). الزمن في الرواية العربية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

كاصد، سليمان (2003). عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية). دار الكندي النشر والتوزيع.

كينيارد، باسكال ((2012. الرواية والتاريخ. جريدة القدس العربي، *24*(7271).

لعرج، واسيني (2018). معضلات الشخصية التاريخية روائياً، المدينة، صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة المدينة للصحافة والنشر. الموقع: https://www.al-madina.com/article/595080

لوكاتش، جورج (1986). الرواية التاريخيية (ترجمة صالح جواد كاظم، ط 2). دار الشؤون الثقافية العامة.

مجموعة من المؤلفين (2019). الهوية والاختلاف والتعدد، مقاربات في المجتمع والدين والسياسة (إشراف وتحرير منير السعيداني).

مرتاض، عبد الملك (1998). في نظرية الرواية. عالم المعرفة (240)، المجلس الوطني للثقافة.

مندور، محمد (2003). المسرح. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

المؤتمر الدولي للغة العربية. الخميس 7 مايو 2020 ميلادي - 14 رمضان 1441 هجري. الموقع: https://www.alarabiahconference.org/index.php?id_seminar_conference=77

النصير، ياسين (1986). إشكالية المكان في النص الأدبي. دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Mitterand, H. (1990). Chronotopies romanesques. *Poétique*, (81).

Rastier, F. (1973). *Essais de sémiotique discursive*. Mame.

Romanized Arabic References: الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية:

biṭāhirin bn ʿīsā 2019). riwāyata " al-sshaykha alʾabyaḍa al-rruʾuyata wa-al-ttashkīla alfanniyya majallatu jāmiʿati al-sshāriqati lil-ʿulūma alʾinsāniyyata wa-al-ijtimāʿiyyata 16(2). https:// doi. org / 10. 36394 / jhss / 16 / 2A / 3

biṭāhirin bn ʿīsā 2021). riwāyāti al-sshaykhi al-dduktwra sulṭāna bn muḥammadu alqāsimiyyi manshūrātu jāmiʿati al-sshāriqati

bwʿzh muḥammada 2010). taḥlīla al-nnaṣṣi al-ssardiyyi tiqniyyātin wamafāhīmi manshūrāti alikhtilāafi aljazāʾira

biwaʿiliyyin ʿabda al-Raḥmāni 2020). al-sshakhṣīāti al-rriwāʾiyyata fī al-nnaṣṣi al-ssardiyyi majallatu " faṣili alkhiṭāba jāmiʿata ibni khaldūnin 8(2) ،alʾiṣdāra 30.

tyghm flyb fānin 1967). almadhāhiba alʾadabiyyata alkubrā fī faransā tarjamata farīda ʾanṭwnyūs manshūrātin ʿīdān

thlylāny ʾaḥusnun wa ṭājyn samāḥa 2013). ḥuḍūra al-ttārīkhi watawẓīfihi fī alkitābati al-rriwāʾiyyati riwāyatu albayti alʾandalusiyyi fī wāsīnī liʿaraji muḥarrira almultaqā al-ddawliyya al-ssādsa fī taḥlīli alkhiṭābi jāmiʿatu 20 ʾaūtha 1955 skīkdatan

al-khānjy ʿabda al-Raḥmāni 1982). al-llughata ilzaminna dāʾiratu alfawḍā majallatu fuṣūlin 2(2.(

ʾmwry al-ssaʿīda 2013). riwāyata al-sshaykha alʾabyaḍa lisulṭāna alqāsimiyyi al-ttārīkha wa-al-hūʾiyyata khalfa ʾaswāri al-ssardi

farajun maryama jamʿatin 2000). qirāʾtan fī al-rriwāyati al-ttārīkhiyyati majallatu albayāni 46). almawqiʿa http:// www. albayan. com. ae

alqāsimiyyu al-sshaykha al-dduktwra sulṭāna bn muḥammadu 1996). al-sshaykha alʾabyaḍa dāru alkhalīji lil-ṣṣiḥāfata wa-al-nnashra

al-qṣrāʾī mahā ḥusni 2004). ilzaminna fī al-rriwāyati alʿarabiyyati almuʾassasatu alʿarabiyyatu lil-ddirāsāti wa-al-nnashri

kāṣd salīmāni 2003). ʿālama al-nnaṣṣi dirāsata bunyawiyyatin fī alʾasālībi al-ssardiyyati dāra alkinidī al-nnashra wa-al-ttawzīʿa

kynyārd bāskāla 2012. al-rriwāyatu wa-al-ttārīkhu jarīdatu alqudsi alʿarabiyyi 24.(7271)

liʿarajun wāsīnī 2018). muʿḍilāti al-sshakhṣiyyati al-ttārīkhiyyati riwāʾiyyan almadīnata ṣaḥīfata yawmiyyatin taṣduru ʿan muʾuassasati almadīnati lil-ṣṣiḥāfata wa-al-nnashra almawqiʿu

https:// www. al- madina. com / article / 595080

lwkātsh jūrja 1986). al-rriwāyata al-ttārīkhiyyiyyata tarjamata ṣāliḥa jawādi kāẓimi ṭ 2). dāra al-sshuʾūni al-tthaqāfiyyati al‘āmmati

majmū‘atun mina almuʾuallifīna 2019). alhūʾiyyata wa-al-ikhtilāafa wa-al-tta‘adduda muqārabātin fī almujtama‘i wa-al-ddīni wa-al-ssīāsati ʾishrāfun wataḥrīru munīru al-s‘ydāny

murtāḍun ‘abda almaliki 1998). fī naẓariyyatu al-rriwāyati ‘ālamu alma‘rifati 240) ،almajlisa alwaṭaniyya lil-tthaqāfata

mandūrun muḥammada 2003). almasraḥa nahḍatu miṣrin lil-ṭṭibā‘ata wa-al-nnashra wa-al-ttawzī‘a

almuʾutamaru al-ddawliyyu lil-ughata al‘arabiyyati alkhamīsu 7 māyūʾin 2020 mīlāadiyy- 14 ramaḍāna 1441 hijriyyun almawqi‘u https:// www. alarabiahconference. org / modules / conference_seminar / index. php? conference_seminar_id = 77

al-nnaṣīru yāsīna 1986). ʾishkāliyyata almakāni fī al-nnaṣṣi alʾadabiyyi dāru al-sshuʾūni al-tthaqāfiyyati al‘āmmati ʾāfāqa ‘arabiyyata

Historical fiction in The White Sheikh by Sheikh Dr. Sultan bin Muhammad Al Qasimi

Abderrahmane Bouali(1)

Abstract:

The White Sheikh by Sheikh Dr. Sultan bin Muhammad Al Qasimi is one of the pioneering historical novels that dealt with an important period in the history of the Arabian Gulf region. It is the first novel written by the author in a series of historical novels. The subject of The White Sheikh is one of the topics that originated from the colonial period when Western ships were heading to the Gulf region to trade with these countries, or when they were passing through this region on their way of India or China. The White Sheikh narrates the life of its hero, "Johannes Herman Poll", a character who was later given an Arabic name, "Abdullah bin Muhammad". The latter was swept by the winds of the West and by his endless ambitions, which accidentally brought him to the shores of the Sultanate of Oman, precisely the area called "Dhofar", a region in the south of the Sultanate of Oman which has experienced a long history of turmoil in ancient and modern times. This study is an investigation of this novel. It is divided it into two sections: the first theorizes the concept of the "historical novel", its beginning, and development. The second is devoted to the analysis of the novel, followed by conclusions and references.

Keywords: The White Sheikh, History, The Novel, Historical Fiction.

(1) College of Arts, Humanities and Social Sciences – University of Sharjah (Sharjah-United Arab Emirates)
aboualifr@gmail.com